رؤية النورسي للأحداث التاريخية الواقعة في صدر الإسلام

د.طارق محمد أورحيم(*)

المقدمة:

إن المعرفة الصحيحة بسيرة الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) وما قاموا به من أفعال، وما اتخذوه من مواقف في حياتهم، تقتضي متابعة هذا الموضوع من مصادر مختلفة، لأننا حين نتعرف على ما وقع من أحداث وفتن في صدر الإسلام، يرد في أذهاننا العديد من الأسئلة التي تطرح نفسها وتحتاج إلى أجوبة محددة ومقنعة.

وبالرغم من وجازة ما قدمه النورسي من تفسير ورؤى لتلك الفتن التي وقعت بين الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)، إلا أنه جعل أستاذا في التاريخ الإسلامي مثل عمادالدين خليل يعتقد أن تفسير النورسي للأحداث التاريخية الواقعة في صدر الإسلام تعد أصولا للتعامل مع الجزئيات التاريخية الأخرى في تاريخ المسلمين، كالأصول التي ابتكرها كبار رجال الفقه في معاملة الجزئيات من منظور الشريعة(١).

تناول النورسي هذا الموضوع من منطلق أن الرؤية والموقف من الصحابة الكرام تشكل جزءا مهما من عقيدة المسلمين، فأكد على ما اتفق عليه جمهور أهل السنة والجماعة في ركن الخلافة والإمامة(٢)، ودافع عن الإمامين عثمان وعلي (رضي الله عنهما) وآل البيت الأطهار، كما دافع وبرء ساحة الصحابة الكرام بصورة عامة، كما هو

(*) كلية الدراسات المسائية/الآداب/التاريخ/ جامعة صلاح الدين - أربيل/ العراق.
tariqabusina@yahoo.com

(١) أديب ابراهيم الدباغ، حركة التاريخ بين النسبي والمطلق في رسائل النور، تقديم:عمادالدين خليل، (الموصل:١٩٨٧)، مطبعة الزهراء، ص١٣.

(٢) للمزيد ينظر: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة ، (بيروت:٢٠٠٨)، ص٢٨٣-٢٨٤،ص٣٠٨-٣١٠.

شأن علماء السنة إذ يرون أن الصحابة كلهم عدول[١]، وأنهم مجتهدون فيما وقعوا فيه من خلاف وما أفرز منه من أحداث وقتال، ولهم أجر المجتهد المصيب أو المخطئ[٢].

ما يتميز به النورسي فهو المنهج الذي انتهجه في معالجة هذا الموضوع، حيث نظر إلى تلك الأحداث برؤية فلسفية، وبنظرة إيمانية كبيرة، أو يمكن القول أنه جمع بين عقل العالم وقلب العارف ونظرة الفيلسوف، في الأجوبة التي قدمها لطلابه، عندما بعثوا له أسئلة تتعلق بتلك الأحداث.

والآن نقدم في سبع محاور أهم الرؤى التي سجلها النورسى في هذا الموضوع:

(١) العلاقة بين القدر والبشر:

رجع النورسي إلى بداية ظهور الفتنة المتمثلة في استشهاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فيثير سؤالا ويرد عليه بنفسه، والسؤال هو: لماذا لم ير الخليفة عمر (رضي الله عنه) بنظره الثاقب قاتله الذي كان قريبا منه، بمثل تلك البصيرة التي أبصر بها جيش المسلمين على بعد مسيرة شهر منه عندما هتف قائلا: ((ياسارية الجبل الجبل)).[٣]

---

(١) وحجتهم في ذلك أن عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم في القرآن الكريم في آيات عديدة. ينظر: القرآن الكريم، سورة البقرة الآية ١٤٣؛ سورة آل عمران الآية ١١٠؛ سورة التوبة الآية ١٠٠؛ وكذلك أثنى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مناسبات عديدة.للمزيد ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار أخبار اليوم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الأحاديث المرقمة من ٣٦٤٩الى ٣٨٢١؛ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (القاهرة:٢٠٠١)، مكتبة الثقافة الدينية، كتاب فضائل الصحابة، الأحاديث المرقمة من ٢٣٨١ الى ٢٥٤٧.

(٢) للمزيد ينظر: القاضي أبي بكر بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة:٢٠٠٣، المكتبة السلفية، ص١٧١؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، اعتنى به، حسان عبدالمنان، (بيروت:٢٠٠٣)، بيت الأفكار الدولية، ص١١-١٢.

(٣) بينما عمر (رضي الله عنه) يخطب يوم الجمعة من فوق المنبر جعل ينادي (يا سارية الجبل الجبل) ثلاث مرات، وسارية بن زنيم بن عبدالله أمره الخليفة على جيش وسيره إلى فارس سنة ٢٣هـ، والجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند في بلاد إيران على بعد مسيرة شهر من الخليفة. فهتافه هذا اصبح سبباً من أسباب نيل النصر في تلك المعركة. هذه الحادثة المشهورة تبين مدى نفاذ بصيرته الحادة. للمزيد ينظر: ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة:١٩٨٧)، دار المعارف، ج٤، ص١٧٨-١٨٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ص٤٦٤-٤٦٥؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، (بيروت:٢٠٠٣)، دار صادر، ص١٥٢-١٥٣.

تذكر النورسي في هذا المقام، ما ورد في ديوان العالم المعروف سعدي الشيرازي (ت٦٩١هـ/١٢٩٢م)[١] مفادها، أنه لما سئل نبي الله يعقوب (عليه السلام): كيف وجدت ريح يوسف (عليه السلام) من قميصه الذي في أرض مصر، ولم تره في الجب القريب منك في أرض كنعان؟

فأجاب عليه السلام: ((إن حالاتنا كالبرق الخاطف، يظهر أحياناً ويختفي أخرى، فنكون أحيانا كمن هو جالس في أعلى مقام ويرى جميع ما حوله، وأحياناً أخرى لا نرى ظهر أقدامنا))[٢].

وشبه النورسي وضع الخليفة عمر (رضي الله عنه) بهذه الحقيقة التي أكد عليها نبي من الأنبياء ((عليهم السلام))، لكن في نهاية الأمر يؤكد النورسي على العلاقة الدقيقة بين الإرادة الإنسانية والمشيئة الإلهية، وأن الأخيرة هي الأصل، وأنها ترد المشيئة الإنسانية، وينفذ القدر حكمه، وإذا ما تكلم القدر تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي[٣]، استنادا إلى الآية الكريمة: ﴿وَما تَشاؤونَ إلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)، فهناك ارتباط دقيق بين الإرادة البشرية وبين القدر الإلهي ينبغي فهمه.

(٢) التفسير الاجتماعي للتاريخ:

لم يمر على النورسي القول القائل والسائد بأن عددا قليلا من اليهود كانوا وراء تلك الفتن، وبمجرد كشفهم وحصرهم تنطفئ نار تلك الفتن، بل وقف عليها ونظر إلى الأحداث بصورة أكثر عمقا، لأنه اعتقد أن المسبب الأول لتلك الأحداث لم يكن قلة من اليهود، بل أخذ في هذه الحالة، العامل الاجتماعي بنظر الاعتبار. حيث رأى أن التغييرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي، نتيجة لتداخل واختلاط أقوام متباينة وغير متجانسة في باطنها مع عقيدة المسلمين، وبخاصة أولئك الذين أصيب غرورهم القومي، مثل الساسانيين، حيث أُبطل دينهم السابق ودُمّر سلطانهم وأزيلت دولتهم التي كانت مدار افتخارهم وعزهم، فكانوا يضمرون في نفوسهم الانتقام ويترقبون الفرصة للنيل من خلافة الإسلام[٤].

---

(١) كليات سعدي، (تهران:١٣٦٩)، انتشارات امير كبير، ص٧٥.
(٢) المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر ، ص٦٥.
(٣) المكتوبات، ص٦٥.
(٤) المكتوبات، ص٦٤ .

ففي مثل تلك الحالة الاجتماعية التي يمر بها المجتمع الإسلامي آنئذ، رأى النورسي أن مواجهة وإزالة ذلك الخلل والفتن، تقتضي إصلاح ذلك المجتمع وتنوير الأفكار المختلفة، ولا يعالجها كشف قلة من المفسدين لتتوقف الفتن.

(٣) النظرة الإيجابية للحوادث التاريخية:

وبعد قراءته لتلك الفتن بصورة عامة نظر النورسي إليها بنظرة أخرى، فاستكشف جوانب إيجابية منها، واستخرج حكما إلهية من خلالها، إذ أكد في البداية أنه ليس هناك شيء في هذا العالم، وما من حدث يحدث فيه أو أمر ينزل به إلا وهو جميل بذاته أو جميل بغيره، فليس هناك شر أو قبح مطلق، وحتى الشيطان نفسه عنوان الشرور لا يعدم من خدمة يؤديها للإنسان[١].

وقد استنبط النورسي هذه القاعدة من قصة آدم عليه السلام مع الشيطان في آيات عديدة من القرآن الكريم[٢]، لأن آدم (عليه السلام) بلغ بسبب الشيطان مرتبة التوبة والغفران والرضى والمحبة من الله، وكذلك تبين لموسى (عليه السلام) بعد مصاحبته للخضر (عليه السلام) أن الوقوف على ظواهر الأمور والأحداث، والحكم عليها بمقتضاها، قد يوقع في الظلم والخطأ[٣].

على ضوء تلك القصص القرآنية شكل النورسي نظرته إلى تلك الفتنة الدموية التي أصابت الأمة الإسلامية في عصر الراشدين، وأخرج الحكمة ووجه الرحمة الإلهية فيها، فشبه ما حدث من الفتن بالأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع التي تثير كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكشفها فتنثر البذور وتطلق النوى، فتتفتح أزهارها الخاصة بها، ويتسلم كلٌّ منها مهمته الفطرية.

يقول النورسي ((كذلك الفتنة التي أبتلي بها الصحابةُ الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، أثارت بذور مواهبهم المختلفة، وحفّزت نوى قابلياتهم المتنوعة، فأنذَرتْ كلَّ طائفةٍ منهم وأخافتهم من أن الخطر مُحدقٌ بالإسلام، وان النار ستنشب في

---

(١) النورسي، المكتوبات، ص٥١-٥٢؛ اللمعات، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر، ص١٠٩-١١٢. لقد أكد على هذه الحقيقة العلماء والعارفون قبل النورسي فجاء في الحكم العطائية : ((جعله لك عدوا ليوحشك به إليه)) ينظر: عبدالله الشرقاوي، شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، (القاهرة:٢٠٠٤)، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٦-٣٧.

(٣) أديب إبراهيم الدباغ، حركة التاريخ بين النسبي والمطلق في رسائل النور، ص١٧.

صفوف المسلمين؛ مما جعل كلَّ طائفة تهرع إلى حفظ الدين والذود عن حياض الإيمان، فأخذ كلٌ منهم على عهدته مهمةً من مهمات حفظ الإيمان وجمع شمل الإسلام، كلٌ حسب قابليته، فانطلق بكل جدٍ وإخلاص في هذا السبيل. فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوي الشريف، ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء، ومنهم من قام بحفظ العقائد والحقائق الإيمانية، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم.. وهكذا انضوت كلُّ طائفة تحت مهمةٍ وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الإيمان وصيانة الإسلام، وسَعَتْ في سبيل أداء مهمتها سعياً حثيثاً، فتفتحت من البذور التي نشرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الأرجاء، زهورٌ بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الإسلام، حتى غدا العالم الإسلامي رياضاً يانعة بالورود والرياحين))[١].

(٤) الرؤية الجديدة لمعركتي الجمل وصفين:

لم يدخل النورسي في تفاصيل الأحداث للمعركتين، لأن الأهم من ذلك بالنسبة له، في ذلك المقام، بيان الموقف الصحيح والسليم تجاه تلك الأحداث، فأكد على الرؤية التي كان عليها علماء السلف لهذه الأمة، الرؤية التي لخصها العالم المشهور الملا خليل سعردي (ت١٢٥٩هـ/١٨٤٣م) حين أنشد قائلا:

ذى شر صحابان مه كه قال وقيل لورا جننةتينة قاتل وهم قتيل

أي لا تخض فيما وقع بين الصحب الكرام؛ فإن القاتل والمقتول كليهما في الجنة[٢].

كذلك أكد النورسي على هذه النظرة التي أجمع عليها معظم علماء أهل السنة بأن: ((القاتل والمقتول كلاهما من أهل الجنة، وكلاهما مأجوران مثابان، رغم معرفتنا أن اجتهاد الإمام علي رضي الله عنه كان صواباً وإن اجتهاد مخالفيه مجانب للصواب. وهؤلاء المخالفون ليسوا أهلاً للعقاب الأخروي. إذ المجتهد لله إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد))[٣].

---

(١) المكتوبات، ص١٢٩ .

(٢) المكتوبات، ص٦٦.

(٣) المكتوبات، ص٦٦. وقد أكد النورسي نفس الحقيقة مرة أخرى في كتابه الملاحق، اعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر: ص٢٩٧.

ومن هنا يبين أن ما وقع من قتال كان قتالا بين فرقاء اختلفت وجهات نظرهم السياسية، والحكم على المواقف فيها داخل في نطاق الخطأ والصواب وليس في إطار الكفر والإيمان، لأن الخليفة علي (رضي الله عنه) لم يكن يشك في عقيدة خصومه، ولذلك فهو يتحدث عن إيمانهم قائلا: ((وكان بدء أمرنا إنا التقينا بالقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء))[١]. ولما سأله أحد أتباعه: ما حالنا وحالهم ان ابتلينا بقتال غدا؟! قال بالحرف الواحد ((إني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة)).[٢]

أما الذي قام به النورسي فهو الإضافة البديعة التي قدمها عندما بين بإسهاب رؤيته الفريدة بخصوص تلك الأحداث التي وقعت بين الصحابة، لأنه لم يقنعه ما اطلع عليه في حينه من الأسباب المذكورة في الكتب التاريخية، بل اعتبر جميعها حجج ومبررات واهية[٣].

فبخصوص معركة الجمل[٤] رأى النورسي أنها كانت معركة بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية أو النسبية. ويعرفهما كالآتي[٥]:

في العدالة المحضة لا يبطل حق الشخص البريء الواحد لأجل الناس جميعاً، أي أن حقه محفوظ، فلا يُضحى بفردٍ واحد لأجل الحفاظ على سلامةٍ الجميع؛ فلا يُنظر إلى كونه صغيراً أو كبيراً، لذا لا يُفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة:د.ت) مطبعة الحلبي، ج١٧، ص١٤١.

(٢)أبو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت:٢٠٠٥)، ص١٩٣.

(٣) المكتوبات، ص٦٧.

(٤) معركة الجمل: معركة وقعت في البصرة عام ٣٦هـ بين قوات أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب والجيش الذي يقوده الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، بالإضافة إلى أم المؤمنين السيدة عائشة التي قيل أنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمل، و سميت المعركة بالجمل نسبة إلى هذا الجمل. للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت:١٩٨٧)، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٩٩-١٤٩.

(٥) المكتوبات، ص٦٦؛ الملاحق، ص٢٩٩.

سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى.

أما العدالة الإضافية فهي أن الجزء يضحى لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهون. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يُصار إلى العدالة الإضافية، وإن صار إليها فقد وقع الظلم.

لقد جعل سيدنا علي (رضي الله عنه)، العدالة المحضة أساساً لسياسته في إدارة دفة الحكم. وسار بمقتضاها على وفق اجتهاده وبمثل ما كان الشيخان أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) يسيران عليه من قبله. أما معارضوه فقد قالوا: ((إن صفاء القلوب وطهارة النفوس في عهد الشيخين كانا ملائمين وممهّدين لكي تنشر العدالة المحضة سلطانها على المجتمع، إلاّ أن دخول أقوام متباينة الطبائع والاتجاهات وهم على ضعف الإسلام بمرور الزمن، في هذا المجتمع أدّى إلى وضع عوائق مهمة إزاء الرغبة في تطبيق العدالة المحضة، فغدا تطبيقها صعباً، لذا فقد اجتهدوا على أساس بالعدالة النسبية التي هي اختيار لأهون الشرين))[١].

وإن معركة (صفين)[٢] في نظر النورسي أنها حرب بين الخلافة والسلطنة - الملك الدنيوي - أي أن الإمام علياً رضي الله عنه قد اتخذ أحكام الدين وحقائق الإسلام والآخرة أساساً، فكان يضحي بقسم من قوانين الحكم والسلطنة وما تقتضيه السياسة من أمور فيها إجحاف في سبيل الحقائق والأحكام. أما سيدنا معاوية ومَن معه، فقد التزموا الرخصة الشرعية وتركوا الأخذ بالعزيمة،لأجل إسناد الحياة الاجتماعية الإسلامية بسياسات الحكم والدولة. فعدّوا أنفسهم مضطرين في الأخذ بهذا المسلك في عالم السياسة. لذا رجحوا الرخصة على العزيمة[٣].

(٥) تقويم بديع لشخصية الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

أجاب النورسي عن أسئلة عديدة حول ما يدور من نقاش وخلاف في خلافة الإمام

---

(١) المكتوبات، ص٦٦.

(٢) معركة صفين: هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب و جيش معاوية بن أبي سفيان في سنة٣٧هجرية. للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٦١-١٩٠.

(٣) المكتوبات ، ص٦٨ .

علي (رضي الله عنه)، فرأى أن هناك أسبابا عديدة وراء عدم تقديم علي (رضي الله عنه) في الخلافة، منها ما هو مكمن في الصفات الشخصية لعلي (رضي الله عنه)، إذ يقول ((كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين أحوج إلى الاتفاق والاتحاد بعدما ارتحل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، فلو كان عليّ رضي الله عنه قد تولّى الخلافة، لكان هناك احتمال قوي أن تثير أطواره المتسمة بعدم مسايرة الآخرين واستقلالية آرائه مع زهده الشديد وبسالته النادرة واستغنائه عن الناس فضلاً عن شجاعته الفائقة، فتحرِّك -هذه المزايا- عرق المنافسة لدى كثير من الأشخاص والقبائل، فتنجم الفرقة بين صفوف المسلمين، مثلما حدث في عهد خلافته من حوادث وفتن))[١].

أما السبب الآخر فيرجع في نظر النورسي إلى الظروف الآنية التي كان يمر بها المجتمع الإسلامي في حينه، حيث هبت أعاصير الفتن على ذلك المجتمع، وإنها بحاجة إلى شخصية ذات شجاعة فائقة وفراسة نافذة قوية، علاوة على انه ذو نسب عريق أصيل من أهل البيت، فثبت فعلا الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أمام تلك الأعاصير الهوجاء[٢].

كما أن للظروف القادمة على الأمة الإسلامية دور في تأخر خلافة علي (رضي الله عنه)، يقول النورسي ((لولا علي رضي الله عنه لربما كانت سلطنة الدنيا تعصف بالأمويين وتفتنهم كلياً، وتزلّهم عن الصراط السوي، ولكن لأنهم كانوا يرون إزاءهم علياً وآل البيت، فقد حاولوا أن يبلغوا شأوهم ويوازوهم في مكانتهم لئلا يفقدوا منزلتهم في نظر الأمة))[٣].

مع ذلك يضع النورسي الإمام علي (رضي الله عنه) في مكان أعلى وأرقى، لأنه كان حرياً ومؤهلاً للقيام بمهمات جسام تفوق أهمية السياسة والحكم، وكان يجدر بأن يلقب بسيد الأولياء[٤]، ذلك المقام المعنوي الذي هو أهل له بحق. فظفر بسلطنة معنوية

---

(١) المكتوبات، ص ١٢٧.

(٢) المكتوبات، ص١٢٧-١٢٨.

(٣) المكتوبات، ص١٢٨.

(٤) وهذه النظرة والتقويم لشخصية ومكانة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ليست بغريبة، بل إنها موجودة ومؤكدة عند أهل التصوف بكل طرقهم وأطيافهم. للتفاصيل حول النظرة الصوفية للخليفة

وبحكم معنوي أرقى بكثير من خلافة سياسية ظاهرية. حيث أصبح بمثابة أستاذ الجميع، بل كان النورسي يعتبر أن الإمام علي أستاذه الخاص في الحقائق الإيمانية، وبالتالي هو أستاذ رسائل النور[١].

رغم إعطاء ذلك المقام للشخصية المعنوية للإمام علي، لكن النورسي لا يبلغه مبلغ العصمة، فبالتالي ليس ثمة مانع إذا انتقد سيرته وسياسته الجارية[٢].

(٦) سر عدم استقرار الخلافة في آل البيت:

يعتقد النورسي أن سر عدم استقرار الخلافة والسلطة الدنيوية في آل البيت يرجع سببها إلى طبيعة الدنيا الخداعة من جهة، والى مهمة أهل البيت، إذ هم مكلفون بالحفاظ على حقائق الإسلام وأحكام القرآن، وينبغي لمن يتسلم زمام الخلافة ألاّ تغره الدنيا[٣].

يرى النورسي أن سلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت، إذ تنسيهم وظيفَتهم الأساس؛ وهي المحافظة على الدين وخدمة الإسلام. ولإثبات هذه الحقيقة يقدم أدلة تاريخية، قائلا: ((خلافة الدولة الفاطمية التي قامت باسم آل البيت في مصر، وحكومة الموحدين في أفريقيا، والدولة الصفوية في إيران، كل منها غدت حجة على أن سلطنة الدنيا لا تصلح لآل البيت. بينما نراهم متى ما تركوا السلطنة، فقد سعوا سعياً حثيثاً وبذلوا جهداً منقطع النظير في خدمة الإسلام ورفع راية القرآن))[٤].

من هنا يكشف النورسي سر ما تعرض له آل البيت في التاريخ، لأنهم ((كانوا مرشحين لسلطنة معنوية ومؤهلين لتسنم مرتبة سامية معنوية. ولما كان الجمع بين سلطنة الدنيا وتلك السلطنة المعنوية من الصعوبة بمكان، لذا جعلهم القدر الإلهي يُعرضون عن الدنيا، وأظهر لهم وجه الدنيا الدميم، لئلا تبقى لهم علاقة قلبية مع الدنيا، ودفعهم إلى أن ينفضوا أيديهم من سلطنة صورية دنيوية مؤقتة زائلة، بينما عيّنهم لتسنم

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ينظر: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، (القاهرة: ٢٠٠٣)، مكتبة مدبولي، ص٤٢٢-٤٢٩.

(١) المكتوبات، ص٦٧؛ الملاحق، ص٢٩٦.

(٢) الملاحق، ص٣٠٣.

(٣) المكتوبات، ص١٢٨.

(٤) المكتوبات، ص١٢٨-١٢٩.

الأمور لدى سلطنة معنوية سامية دائمة، فأصبحوا مرجِعاً لأقطاب الأولياء بدلاً من أن يكونوا مرجعاً للولاة الاعتياديين))[١].

(٧) التفسير الجديد للأحداث التي وقعت بين آل البيت الأطهار والأمويين:

كان النورسي مطلعا على ما أوردته الكتب التاريخية، حول ما شاع بين المؤرخين القدامى والمحدثين من مساوئ وسلبيات حول الدولة الأموية[٢]، مستدلا بالثورات التي وقعت في ذلك العصر من أبرزها ثورة الحسين (رضي الله عنه)، التي انتهت باستشهاده مع أفراد عائلته. فيشعر النورسي بألم كبير أثناء البحث وحتى التفكر فيما وقع لآل البيت في حينه، وكما يصرح بنفسه ((ومشاهدة الظلم الرهيب الواقع على أهل البيت يسحق روحي أكثر، ويفت في القوة المعنوية ويعذبني عذابا لا يوصف))[٣].

لذلك عندما يأتي النورسي إلى تحليل ما حدث من قتال بين آل البيت والأمويين، يلخص جوهر القضية في جملة وهي أن ذلك الصراع ((في حقيقتها صراع بين الدين والقومية))[٤] لأن الأمويين كانوا ينتهجون سياسة ظالمة تضحي بالأشخاص في سبيل الحفاظ على الدولة، واستتباب النظام في البلاد. وذلك بعد أن قاموا بقمع جميع الحركات المناهضة لحكمهم بصورة عنيفة. كما كانوا مستندين أيضا إلى القومية والعنصرية، التي تفضل الرابطة القومية على رابطة الإسلام. حينما فضلوا الجنس العربي في معاملتهم عن بقية الأقوام الأخرى. فضلا عن وجود سبب نفسي، وهو تأصل عرق المنافسة بين الأمويين منذ مدة طويلة تجاه الهاشميين[٥].

فتلك الأسباب التاريخية كان لها أثر واضح فيما وقع من أحداث وقتال بين الأمويين من جهة وبين آل البيت وغيرهم من جهة أخرى.

علاوة على ذكر تلك الأسباب المتعلقة بالأمويين وسياساتهم، يذكر النورسي سببا من نوع آخر، وهو نتيجة طبيعية لتلك السياسات، لكن وقد انفرد بالتركيز عليه، حيث

---

(١) المكتوبات، ص٦٩.

(٢) جمع الدكتور حمدي شاهين في دراسة مستفيضة أغلب ما كتب وقيل بحق الأمويين وطبيعة حكمهم في كتاب كبير سماه: الدولة الأموية المفترى عليها، دراسة الشبهات ورد المفتريات، (القاهرة: ٢٠٠٥)، دار القاهرة للكتاب.

(٣) الملاحق، ٣٠١.

(٤) المكتوبات، ص٦٨.

(٥) للتفاصيل ينظر: حمدي شاهين، الدولة الأموية، ص١٢١-١٢٣.

يرى أن تلك الجماعات باستثناء المقربين من الحسين (رضي الله عنه)، كانوا يحملون نية أساسها الثأر، فعندما تلتقى فئة بأخرى بنية غير خالصة لله سبحانه، يصبح النصر حليف الأقوى[١].

يقول النورسي ((إذا استثنينا المقربين من سيدنا الحسين رضي الله عنه، نجد أن الأقوام المختلفة الذين التحقوا بهم هم ممن أُصيب غرورهم القومي بجروح بيد العرب المسلمين، فهم يضمرون ثأراً تجاههم، مما كّدر صفاء النية ونقاءها التي كان يتحلى بها مسلك الحسين ومن معه، وأدّى تعكُر ذلك الصفاء وخفوت سطوع ذلك النهج القويم إلى تقهقرهم أمام أولئك))[٢].

فهنا يربط النورسي بين النية والنصر، مستكشفا السبب الخفي الموجود في صدور الذين انضموا إلى معسكر الحسين (رضي الله عنه)، مما أدى إلى عدم نجاح الحسين (رضي الله عنه) في مسعاه ضد الأمويين رغم انه كان على حق وصواب؟

مع ذلك يقف النورسي بقلب عارف حكيم أمام تلك المصيبة التي أصابت أولئك الطاهرين، ناظرا إلى القدر الإلهي الحكيم، ويقول: ((إذا نظرنا إلى الأمر من زاوية القدر الإلهي نجد أن سيدنا الحسين وذويه رضي الله عنهم قد أحرزوا نتائج أخروية وسلطنة روحية ورقياً معنوياً، من جراء تلك الفاجعة الأليمة، بحيث تكون تلك الآلام والصعوبات التي لاقوها في تلك الحادثة الأليمة زهيدة ويسيرة تجاه تلك المنازل الرفيعة التي حظوا بها))[٣].

وبخصوص موقفنا نحن تجاه ما حدث لآل البيت الأطهار، دعا النورسي إلى اتخاذ موقف المؤمن الراشد، دون أن نخوض في الدعوة باللعنة على الظلمة المسببين لتلك المصيبة[٤]، لأن الذين ظلموا أهل البيت يرون عقابهم الآن في الآخرة عقاباً أليماً بما لا يدع حاجة إلى معاونتنا بالهجوم على الظلمة، وينال أهل البيت المظلومون -ثواب ما

---

(١) المكتوبات، ص٧٠ .

(٢) المكتوبات ، ص٦٩.

(٣) المكتوبات، ص٧٠.

(٤) يرجح النورسي ما ذهب إليه العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) عندما رد على أحد فقهاء الشافعية وهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٦هـ) الذي جوز تلعين يزيد والوليد وتضليلهما. للمزيد ينظر: الملاحق، ص٣٠٠.

قاسوا من عذاب موقت- درجة عظيمة لا تبلغها عقولنا لسعتها ورفعتها، فالأولى إذن تهنئتهم بألوف التهاني من حيث نيلهم تلك الرحمة الواسعة وليس التألم لحالهم الآن[1].

هذا هو ما توصلت إليه نظرة هذا العارف العالم بعد أن قدم في البداية الأسباب الظاهرة الأرضية لتلك المصيبة.

الخلاصة

١. تحدث النورسي عن الفتن منذ بدايتها بدءا باستشهاد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مرورا بالفتن التي وقعت في عهد الخليفتين الثالث والرابع و وصولا إلى ما تعرض له أهل البيت في زمن الأمويين.

٢. إن نظرة النورسي لتلك الأحداث التاريخية ليست نظرة المؤرخ المهتم بتفاصيل الأحداث وحيثياتها، بل كان يلخص الأحداث من زاوية الأسباب والبحث في العلل التي ورائها، مؤكدا على ما أجمع عليه علماء أهل السنة، جامعا بين عقلية الفيلسوف ونظرة العارف الحكيم.

٣. أعطى النورسي بتفسيره لتلك الأحداث منهجا شاملا وثابتا في التعامل مع الوقائع التاريخية، لأن التفاسير والرؤى التي قدمها النورسى كانت بمثابة أصول متجذرة للتعامل مع الحوادث التاريخية.

٤. ما ميز النورسي في تفاسيره هو استكشاف الجوانب الإيجابية من تلك الأحداث، واستخراج الحكم الإلهية فيها،لأنه كان يستقرأ الجوانب الإيجابية فيها.

٥. أكد النورسي أن ما وقع بين الصحابة كان نتيجة اختلاف في مسائل سياسية، فلم يقاتل طرف غيره على العقيدة، لذا لم يكفر بعضهم بعضا، وهذا ما دفع العلماء طوال التاريخ الإسلامي بأن يجزموا أن القاتل والمقتول في تلك الأحداث كليهما في الجنة.

٦. للنورسي نظرة خاصة لشخصية الخليفة علي (رضي الله عنه)، فيعتبره أستاذ الجميع، وأستاذا لرسائل النور. ومن هذه الزاوية ينظر إلى سادة أهل البيت بأن مهمتهم هو الحفاظ على حقائق الإسلام وأحكام القرآن.

---

(١) الملاحق، ص٣٠٢.

٧. ان التفسير الدقيق والموقف الراشد المتوازن الذي قدمه النورسي لتلك الأحداث التاريخية، في غاية الأهمية، حيث ينبغي دراستها والتوقف عندها، لأن المعالجة السطحية والنظرة الأحادية في تلك الأحداث التاريخية الحساسة كانت ولا تزال سببا في زيادة الشطر بين المسلمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

رسائل بديع الزمان سعيد النورسي:

١. المكتوبات، ترجمة، احسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر.

٢. اللمعات، ترجمة، احسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر.

٣. الملاحق، ترجمة، احسان قاسم الصالحي، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار سوزلر للنشر.

المصادر:

٤. ابن الأثير، الكامل في ال تاريخ، (بيروت:١٩٨٧)، دار الكتب العلمية.

٥. أبو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (بيروت:٢٠٠٥).

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري، (القاهرة:٢٠٠٤)، دار أخبار اليوم.

٧. البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، (بيروت:٢٠٠٨).

٨. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، اعتنى به، حسان عبدالمنان، (بيروت:٢٠٠٣)، بيت الأفكار الدولية.

٩. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(القاهرة:د.ت) مطبعة الحلبي.

١٠. سعدى الشيرازي، كليات سعدي، (تهران:١٣٦٩ه.ش)، انتشارات امير كبير.

١١. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، (بيروت:٢٠٠٣)، دار صادر.

١٢. ابن العربي، القاضي أبي بكر، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة:٢٠٠٣).

١٣. الطبري ، ابي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة:١٩٨٧)، دار المعارف.

١٤. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، (القاهرة:٢٠٠١)، مكتبة الثقافة الدينية.

المراجع:

١. أديب إبراهيم الدباغ، حركة التاريخ بين النسبي والمطلق في رسائل النور، تقديم، عمادالدين خليل، (الموصل:١٩٨٧)، مطبعة الزهراء.

٢. عبدالله الشرقاوي، شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، (القاهرة:٢٠٠٤)، مكتبة الثقافة الدينية.

٣. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، (القاهرة:٢٠٠٣)، مكتبة مدبولي.

٤. حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، دراسة الشبهات ورد المفتريات، (القاهرة:٢٠٠٥)، دار القاهرة للكتاب.